دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد: 08 العدد: **01(2022)** **ص. 304/290**

الفن التشكيلي بين الرومانسية والاستعمار بالمغرب العربي

عوامل ظهور اللوحة الحامل والتصوير التمثيلي بالجزائر وتونس والمغرب 1900/1830

Plastic art between romance and colonialism in the Maghreb

Factors of emergence of easel painting and figurative art in Tunisia, Algeria and Morocco 1830/1900

بوسنة فضيلة – أ.د بوزار حبيبة

مخبر الفنون و الدراسات الثقافية جامعة تلمسان fadila.boussena@univ-tlemcen.dz

تاريخ الارسال:2022-11-27 **تاريخ القبول:2022-12-24** **تاريخ النشر:29-12-2022**

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
تاريخ القبول:

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الفن التشكيلي
- ✓ الرومانسية
- ✓ اللوحة الحامل
- ✓ الاستعمار
- ✓ المغرب العربي

الملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)

يعد دخول الاستشراق الفني الى دول المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب) حدثا أساسيا في ظهور ما يسمى بالفن التشكيلي حاليا ،و بما انه لا يمكن الفصل بينه وبين المدرسة الرومانسية ، و التي تتفرد بأسلوب اللوحة الحامل ،سيتطرق هدا المقال على اهم التبعيات التي حدثت و اثارها و الدور الذي لعبه الاستعمار الفرنسي لغرض تمرير اديولوجيته في المنطقة، و كيف كان ظهور اللوحة الحامل و كيف وظف الفن الرومانسي في خدمة مساعي المستعمر التوسعية في المنطقة .

Article info

Received ……..
Accepted ……..

Keywords:
- ✓ Plastic art
- ✓ Romance
- ✓ Easel painting
- ✓ Colonialism
- ✓ The Maghreb

Abstract : (not more than 10 Lines)

The entry of artistic orientalism to the Maghreb countries (Tunisia, Algeria,Morocco) is a significant event in the emergence of the so-called plastic art now, and since it cannot separated from the romantic school, which is unique in the style of easel panting ,this article will address the most important dependecies, its effects and the role played by french colonialism for spreading its idiology in the region, in addition how was the emergence of easel painting and how romantic art was employed in the expansion plans of french colonialism in the region.

المؤلف المرسل: بوسنة فضيلة

المقدمة:

يعتبر الفن التشكيلي بالمغرب العربي شكلا فنيا جديدا، بحيث تعود البدايات الأولى للتعبير التشكيلي المغاربي إلى ما بعد دخول المستعمر الفرنسي، غير أن المنطقة عرفت فنونًا أخرى تؤكد وجود تمثيل تصويري رمزي وتجريدي، أبرز هذه الفنون رسومات الطاسيلي ناجر والتي تعتبر أولى رسومات الإنسان في المنطقة والعالم، وأولى التعابير الفنية والرسائل الشاهدة على الحياة الاجتماعية في فترة لم يكن للحرف وجود بعد فمثلا فن الرؤوس المستديرة بصحراء الطاسيلي والتي يعود قدمها إلى سنة 10000وما هذا إلا مثال صغير على قِدم وجود الفَن في المنطقة، كما لا ننسى ما تلاها من فنون على مر الزمن ، وتعد الصور الطبيعية والتمثيل جزءًا من أنماط التعبير لكل المراحل التاريخية التي مرت على المنطقة، وبعد الفتح الإسلامي للمغرب العربي تغيرت نظرة أهل المنطقة للفن، فالتمثيل التصويري والصور تحولت إلى تجريد الذي أصبح طريقة التعبير الفني الحصري لثلاثة عشر قرنا، وفي القرن العشرين عاد التصوير التمثيلي والطبيعي بقوة إلى الفن المغاربي المليء بالثراء والابتكار، فالتجريد موجود أيضًا ولكنه اتخذ شكلاً آخر ولم يعد له نفس المفهوم وهذا ما يجعلنا نتساءل:

ما هي الاسباب التي ادت الى ظهور اللوحة الحامل بالمغرب العربي في هذه الفترة ؟و كيف ساعدت النزعة الرومانسية في ذالك؟

1- آراء النقاد حول ظهور الفنون التشكيلية بالمغرب العربي

كانت الممارسات الفنية قبل سنة 1830 متنوعة في المغرب العربي مثل التنوع الثقافي الموجود بالمنطقة، "خاصة و أن الفن التشكيلي يبقى محتفظ بأهميته التاريخية و الفكرية النابعة من استمراريته وغزارته و قدرته دائما على تزويد الحضارات الإنسانية المختلفة بالطاقة اللازمة لإنشائها"(زواغي.عزوز ،2019،ص60/54) ،وقد اختلفت آراء المختصين حوله بالمغرب العربي نظرا لأهمية تأريخ الفن في المنطقة، خصوصا أن المؤرخين المهتمين بالفن يبحثون عن لحظة التأسيس، وندرة المعلومة التاريخية الخاصة بفنون التشكيلية بالنظر إلى تاريخ المنطقة السياسي وموقعها الجغرافي، وما هو متوفر في بلدان المنطقة يحتاج إلى مراجعة وتدقيق، فالكتب المتوفرة ألفها مستشرقون طرحوا وجهة نظر غربية في غالب الأحيان، حتى أن الباحث يجد صعوبة في الإطلاع على تاريخ الفنانين الذي وطأت أقدامهم أرض المغرب العربي قبل الاستعمار الفرنسي، مثلا :عن "الفنانون الفرنسيون قليلون من كثيرون من وطأت أقدامهم تربة البربر قبل القرن التاسع عشر. قبل معاهدة 1856 بين المغرب وفرنسا، فعدد قليل من الأجانب ممن يتنقلون في البلاد. باستثناء أسرى الحرب، المرتدون المسيحيون والمحكوم عليهم الهاربون من الرؤساء الأيبيرية، وهم الأوروبيون الوحيدون يمكن للمغاربة أن يعبروا طريقهم حتى نهاية القرن الثامن عشر القرن، فإما القناصل أو المغامرين أو البحارة ومن تقطعت بهم السبل على

شواطئهم، بالإضافة إلى قلة نادرة التجار الذين يمرون عبر فنادق المدن الكبيرة وعدد أقل من رجال الدين المسؤولين عن تحرير الأسرى" (, (Lespes.,2017p36

وفي حوار مع الدكتور المغربي المتخصص في علم الجمال موليم لعروسي قال عن تاريخ تأسيس الفن التشكيلي مغربي: "يصعب أن نعثر على الزمان الذي بدأ فيه الانتقال نحو الفن كما يراه الغرب، خصوصا إذا سلمنا بأن للفن المغربي منبعين أساسيين: أولا الصنائع والحِرف والعمارة المغربية وثانيا التأثير الغربي الأوروبي تحديدًا، فلقد بدأ ينظر إلى العمل الفني لذاته، ككيان مستقل عن الشيء النفعي الذي كان يحتويه في داخله؛ وهذا ما رأيناه يتحقق مع تيار الفن الفطري من خلال بعض الخدم المغاربة الذين كانوا يعملون عند الأوروبيين المقيمين، وتعلموا الرسم على أيديهم، ليتحولوا بعد ذلك إلى فنانين تشكيليين يرسمون ما كانوا يتخيلونه أو يحلمون به على ورق مستقل، ثم يضعون له إطارا ويعلقونه على الجدار" (لعروسي،2018/01/15)

بالنسبة للمستشرق (لوسيان غولفان – Lucien Golvin) فإنه يحاول دائما التقليل من الأعمال الفنية المغاربية بوصفها بالأعمال الموجودة "بالبيوت العادية ولدى عامة الناس"، علما أن العائلة آنذاك ورغم بساطتها كانت تهتم بتفاصيل الفنية في حياتها اليومية "، ويبدو أن بعض الخصوصية قد تم الكشف عنها مع الزخارف الهندسية الأصلية. (...) لكن روح البربر أو القبائل أو الشاوية أو غيرهم، لديها فقط وسائل تعبير متواضعة بصرف النظر عن اللغة أو الشعر الشفهي الذي يتم ترديده وينقل بأمانة من جيل إلى جيل، تبدو الموضوعات الزخرفية، الهندسية فقط، ثابتة إلى الأبد، دعمهم مجرد أشياء من الحياة اليومية: الأقمشة، الصناديق الخشبية الكبيرة، البنادق والكمثرى، الفخار أو أدوات المائدة المصممة والمرسومة للنساء، المجوهرات .. كل شيء يبدو حنينًا إلى الماضي وانسحابًا إلى الماضي، ورفضًا للحاضر واليوم التالي" (GOLVIN,1971,p922).

ومن خلال كلمات الكاتب نرى أن الحِس الفني في المنطقة قبل عام 1830 تجلى بشكل رئيسي في الديكور، كما يظهر أن السِمة الرئيسية لهذا الفن كانت بشكل أساسي رسومات وزخارف بسيطة، واستخدامهم القوي كان في إطار الحياة الاجتماعية، (الأثاث والأطباق والأشياء اليومية)، التي كانت تحمل طابعًا زخرفيًا فنيًا، وذات الطابع البربري ولكن أيضًا ما أغفله غولفان وأمثاله الانتعاش الثقافي بعد الفتوحات الإسلامية، والتي كان لها حضور قوي في التأثير على الفن التشكيلي للفن بالمنطقة المغاربية ككل .

لكن يبقى من الباحثين الغربيين من يؤمن بوجود فن له روح بالمنطقة مثل الكاتب (اريك بروغ) صاحب كتاب Islamic Geometric Patterns الأنماط الهندسية الإسلامية "أن الفنون الزخرفية المغربية ذات الثراء الكبير، هي تقاليد ومهارات لا تزال حية إلى حد كبير، كما تم تطوير فنون المعادن والبرونز والنحاس والمجوهرات والأسلحة ... بشكل كبير مثل الحرف المنزلية، والفخار، والسجاد، والأزياء ... المفردات الزخرفية

باستخدام الأنماط الهندسية، والأرابيسك، واستخدام الذخيرة النباتية، والحيوانية، والخط مما يجعل لهذا الأخير رابط مع ما هو مقدس "(BROUG.,2013,p56.)

لهذا نجد أن الممارسات الفنية بدول المغرب العربي لم تكن في انتظار الأوروبيين للتعبير عنها، بل هي مزيج لثقافات المنطقة المختلفة، فالفن من خلالها عبارة عن "نسج للصور والعلامات"(AIT SAADI.,2012,p09انظر ايضا KHATIBI,2001) ، لقد طوروا وابتدعوا وجددوا الممارسات والأعمال من جميع الأنواع، الشعبية أو العلمية، والتي تتوافق مع احتياجاتهم من حيث التعبير الفني، حتى ولو كانت الممارسات الفنية المحلية توصف على أنها متواضعة أو عند بعض النقاد المستشرقين بدون إبداع، نأسف نحن سكان المغرب العربي على قلة وجود كتاب التاريخ من أبناء المنطقة خاصة فترة النصف الثاني من القرن 19 إلى النصف الثاني من القرن 20، ما جعل المستشرقين يعيثون في تاريخنا بأفكارهم ويضعون سمومهم دون رقيب أو حسيب، "خاصة والاستشراق وظف كأداة للجوسسة ودراسة الشعوب سوسيولوجيا و تاريخيا و نفسيا ورصد نقاط القوة و الضعف خدمة للجيوش الاستعمارية الغربية"(قجال،2015،ص64-71)

لا يمكننا إنكار غياب التمثيل البشري والحيواني أو المحاكي للطبيعة بطريقة واقعية وأن التجريد ظل هو النمط الحصري للتمثيل في الواقع الفني المغاربي، فلم يعرف التمثيل الأيقوني للأحياء سوى مكان صغير في الإنتاج الفني، بالإضافة إلى التمثيلات الأيقونية النادرة للأحياء التي كانت موجودة في المجتمع، والتي جاءت بشكل أساسي من الشرق الأوسط، أو المراجع الحيوانية القليلة في الفخار والنسيج والنحت والرسم على الخشب، وجميع فنون الزينة والفنون الشعبية النابعة من التقاليد المحلية أو الريفية أو الحضرية، فإن إنتاج صورة رمزية على هذا النحو حديثة كانت أو غير حديثة، ليس ممارسة شائعة وهناك من ارجع قضية الفراغ الفني التشكيلي للمنطقة إلى حقيقة أن المجتمع غير علماني ومنهم المؤرخ الفرنسي المهتم بالشأن المغاربي (جون لويس كارلي الذي كتب "سبب هذا الفراغ هو الانتماء إلى مجتمع غير علماني، مُنح على مدى ثلاثة عشر قرناً لإطار مرجعي ديني، الإسلام، الذي يُفترض أنه موحد، والذي ننسب إليه التحريم المطلق المصبوب على الصورة؟ بالنسبة له لا شيء أقل تأكيدًا لأن الوضع مختلف تمامًا في إمبراطوريات العالم الإسلامي مثل العثمانيين والصفويين والمغول، ولكن أيضًا من نهاية الإمبراطورية العباسية، شمال شرق نهر الفرات. إن المغرب الكبير، قدم بالتالي بعض الراديكالية المتعلقة بتمثيل الأحياء التي استمرت ثلاثة عشر قرنا، وبالتأكيد بسبب راديكالية التيار المالكي الذي يهيمن على المنطقة".(CARLIER,2010,p11.)

قد اعتبر مؤلفا كتاب فنانو تونس الثّنائي إلزا ديسيناي، والدكتور رضا مومني، أن فترة أحمد باي كانت هي المنطلق الحقيقي لحياة تشكيلية في تونس، تتالت بعدها الفصول الأخرى، منها ما سماه الكاتبان بـ"فترة الاستعمار" وهي الحقبة التي شهدت الدفعة القوية في اتجاه انتشار فنون الرسم والتعريف بها لدى عامة الناس حيث كانت فترة حالمة ورومانسية، إذ أن أغلب الأعمال التي راجت كانت فلكلورية في تصويرها للحياة اليومية للتونسيين وصورت أيضا المناظر الطبيعة في أكثر من مكان بالشمال والجنوب التونسيين" (العياري ،2019/12/28)

في مطلع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تغيرت التقاليد الفنية بمنطقة المغرب العربي، بحيث ظهر الفن الأيقوني الخاص بالأحياء في أعمال الفنانين الذين يمارسون الآن الرسم على الحامل، والذي يعتبر وسيط جديد، وشكل جديد للتعبير الفني، وطريقة جديدة في رؤية جديدة، فدخول هذا العالم الفني في قطعة قماش (اللوحة الحامل) والذي حاول تقصي الآثار واهتم بثقافة السكان على اختلافاتها وتنوعها وتعددها، والتي أثارت لاحقًا نقاشات متواصلة حول شرعيتها وشرعية ما وابتكرته من إبداعات، على المحتوى والشكل والمضمون وعلى وجه الخصوص التصوير والتشكيل، أمثال الإخوة راسم محمد وعمر من الجزائر، والهادي الخياشي من تونس، ومحمد بن علي الرباطي من المغرب، وغيرهم من الأسماء التي سجلت وحافظت على تاريخ المنطقة بريشتها في ظل استعمار غاشم حاول طمس كل ما له بثقافة الشعب الأصلية.

2- أسباب انتقال الفن التشكيلي بالمغرب العربي إلى الطابع الفني الغربي:

هذا التغير السيميولوجي هو نتيجة للعديد من الحقائق التاريخية والابتكارات الاجتماعية والأحداث السياسية التي مرت بها المنطقة المغاربية في الفترة الاستعمارية على كل من الجزائر، تونس، والمغرب، وتعتبر الفترة ما بين 1830-1900م أهم محطة في تاريخ ظهور الفن التشكيلي بالمنطقة.وخاصة وان "الفن يرتبط دائما بالظروف الاجتماعية ويتكور حيث تتحكم فيه القوانين "(مالكي ،2020،ص38-49)وسنرى أن القوانين الجديدة ستؤثر فيه وعلى كل المنطقة.

يعتبر تاريخ دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر عام 1830 هو تاريخ أشهر لوحة فنية فرنسية (لوحة الحرية تقود الشعب)، والتي تعتبر من أيقونات الفنية للشعب الفرنسي، وللمفارقة فهي لوحة للفنان دولاكروا رسمت خريف نفس عام غزو الجزائر، وتجسد آلهة الحرية والتي أصبحت رمزا للحرية والديمقراطية، ويعد تاريخ بداية الاستغلال والنهب ومحاولة السلب الاقتصادي وحتى التاريخي والثقافي، كما يعد هذا التاريخ محطة التحول الفني للعالم الغربي خاصة الأوروبي بطريقة متزامنة مع الثقافة الحديثة للصورة في الغرب، والتي كانت تخضع لتغير كبير بسبب الأحداث التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكان الانتقال من الفن الكلاسيكي إلى الرومانسي فالواقعي فالتعبيري والانطباعي وغيرهم من المدارس التي أتت تباعا وبتسارع، وأيضا بفضل اختراع الطباعة الحجرية في نهاية القرن الثامن عشر، والذي سمح بتطوير الرسم التوضيحي في الصحافة وتطور الملصقات والتصوير الفوتوغرافي في منتصف القرن التاسع عشر.

نتحدث عن الجزائر في هذه الفقرة بالأخص لأنها أول بلدان المنطقة التي تم احتلالها من طرف المستعمر الفرنسي، فمنذ ذلك التاريخ شهدت مدن المغرب العربي انتشارًا للصور التي استوردها المستعمر في بيئتها اليومية، من الأيقونة الدينية للمستوطنين الأوائل إلى رسومات ولوحات الجنود والرسامين المسافرين الذين رافقوا الرحلات الاستكشافية، والذين تداولوا بين التجار وتجار السلع المستعملة منذ العقود الأولى للاستعمار.

جندت فرنسا كل طاقاتها لبعث الفن الأوروبي، إلا أن هذا الفن الخاص (للوحة الحامل) ظل لأكثر من خمسين عامًا حتى استهوى فناني المنطقة، حتى بداية القرن العشرين ظهرت الممارسة الفنية لهذا النوع عند بعض الفنانين الأصليين. لهذا نتساءل عن سبب هذا البطء في استيلاء

ونقل هذه الصفة الثقافية الغربية؟ فربما كان السياق التاريخي لاستعمار الجزائر هو السبب الرئيسي خاصة وان التجاوزات العديدة التي ارتكبت تجاه السكان الأصليين، والوضع المتناقض والمظالم والأحداث بعد ذلك خلقت توترًا كبيرًا، وقبل كل شيء توازن القوى والحرب والعداوة الدائمة بين السكان الأصليين والمستوطنين. هذا جعل الوضع غير موات للغاية لأي تبادل ثقافي، خاصة لما يزيد عن نصف قرن .

3- أهم عوامل التثاقف المفروض من المستعمر على السكان الأصليين وعالم الفن الغربي

بعد دخول المستعمر تغيرت عدة أمور، منها التي خلقت نوعًا معينًا من التثاقف المموه الذي جعل من سكان المنطقة يهتمون بالعالم الغربي، واهم عوامل هذا التحول هي:

العامل الأول: تغير شكل المدينة، بحيث كبرت وتوسعت وانفتحت على بعضها .

العامل الثاني : العروض الثقافية مثل المسارح داخل المباني العامة.

العامل الثالث: الإعلانات المعروضة على الجداريات، التي كانت محفزًا لأهل المنطقة لدخول عالم غير عالمهم، بسهولة التأثير عليهم من خلال الصورة، وخلق اهتمام بالصورة الايقونية الغربية، والتي وصفها البعض "بالجريمة المرتكبة في العلن"(RHELMOUN,2006,p35).

العامل الرابع : الطوابع والتي أصبحت هذه الخدمة مفتوحة للمدنيين في الجزائر سنة 1835 وفي المغرب سنة 1891 تاريخ افتتاح أول مكتب بريدي فرنسي بمدينة فاس العاصمة السياسية آنذاك، أما في تونس فأول مكتب بريدي تم افتتاحه سنة 1927 وقد كانت للطابع البريدي أهمية الصورة والرسالة لكسر الصورة النمطية للمنطقة، وأيضا طريقة لتأكيد على فكرة بسط النفوذ، وفرصة لعرض المزيد من الصور الغربية التي ادخلها المستعمر في الحياة الاجتماعية للسكان.

العامل الخامس: العملة الاستعمارية المملوءة بالصور الايقونية سواء عملات معدنية أو أوراق نقدية، والتي تم استنساخها بملايين النسخ، بحيث تكون الصورة جزءًا من الحياة اليومية، أي أمر مادي ملموس إذا صح قول، فيكون بذلك الاتصال البصري واللمسي مع هذا المرجع الايقوني الجديد.

العامل السادس: الصحافة فقد تم تكثيف هذه البيئة الأيقونية الجديدة أيضًا من خلال الصحافة المصورة والرسوم الكاريكاتورية .

العامل السابع : الملصقات الاشهارية التي شهدت تطورا وازدهارا وهذا بفضل الابتكارات التكنولوجية في ذلك الوقت مما زادها نجاحًا في العالم الغربي وميول كبار الفنانين لهذا النوع من الفنون (الملصقات الاشهارية) أمثال هنري تولوز لوتريك .

شهدت هذه الفترة انفتاحا نحو كل ما هو فني، حتى عرفت حسب المؤرخين والمهتمين بعلم الاجتماع بالحقبة الجميلة (Beautiful Epoch) وكان لهذا الأثر البالغ على المنطقة المغاربية والدول المتوسطية ."اهتم الرسامون الفرنسيون في الثلث الأول من القرن التاسع عشر بالبحث في التراث

الشرقي حيث أطلقوا في هذا الاهتمام تسمية "النهضة الاستشراقية للرسم الزيتي" (شاعو،2012،ص63) وقد أثرت هذه الفترة على كيفية رؤية الفن مما جعل المستعمر يفكر في دمج الفن بالمجتمع، بحيث "كانت الحركة الفنية الرسمية الأولى الناتجة عن جمعية الفنون الجميلة والتي تم إنشاؤها في الجزائر العاصمة عام 1851، ونظمت في الأول من شهر أوت من نفس العام المعرض الفني الأول في قصر الجنينة بساحة الشهداء حاليًا في قلب مدينة الجزائر، والذي أصبح فيما بعد حدثًا مهمًا وقد قدمت هذه الجمعية دورات مجانية في الرسم والنحت والموسيقى، مع التركيز على ترسيخ الممارسات الفنية الغربية.

وهناك شهادة أخرى للباحث (ريمي لابروس) أن معرض 1905 في مدينة الجزائر هو المعرض التأسيسي لتاريخ الفن في المغرب العربي "(Dufrêne,2017,p04) يمكننا اعتبار هذا المعرض بمثابة افتتاح لتاريخ الفنون المغاربية بالمنطقة، التي نفذتها فرنسا تحت رعاية الاستعمار، في مبنى رمزي من الطراز المغربي الجديد الذي يفضله جونار Jonnart في الواقع، مما سيؤدي إلى ظهور نسخ طبق الأصل ولا سيما المعارض التي سيكون لها مهمة تقديم "الفنون الأصلية"، بحيث تستهدف المعارض العالمية والاستعمارية جمهور المدينة، وتهدف المعارض في المقام الأول إلى جمهور المستعمرة، في مؤسساتها الأكاديمية بشكل أساسي ولكن أيضًا اقتصادية، فهدفهم أولاً هو تحديد الصناعات الفنية الأصلية ففي الجزائر العاصمة عام 1899 أمرت الحكومة العامة بالتحقيق في الحرف، وبشكل أكثر تحديدًا الإنتاجات المحلية ذات الطابع الفني، والتي عهد بها إلى ايميل فولار (Dufrêne,2017,p04. Violard,1902)

لا شك أن بداية الاعتراف بوجود فنون يجب أن يرتبط من ناحية الأولى بمعارض الفن الإسلامي في أوروبا، ومن ناحية الثانية بافتتاح الأقسام المخصصة للفن الإسلامي في متحف باردو بتونس ومتحف الآثار بالجزائر العاصمة، حيث قام (إيميل فيولار) بجرد الصناعات الفنية ونشر تقريره سنة 1902، ويتم إقامة معرض الفن الإسلامي في الجزائر العاصمة، ومنه تتوالى المعارض الفنية الإسلامية في باريس والتي حددت سمات معينة للمغرب العربي، ولا سيما بفضل المقارنة التي قدمها بوجود غرفة بربرية وغرفة شرقية . فاستخدام الفنانين الأصليين في المغرب العربي للفن على اللوحة الحامل أو المسنديّة التي جاءت بفن مفعم بالرومنسية، ناتج بشكل خاص عن هذه المرحلة الأولى من المرور الأيقوني اللاشعوري، وتسارع الأحداث خاصة الثقافية، أي الموجة الغربية التي أتت لتغير مجرى تاريخ المنطقة السياسي والاجتماعي وحتى الثقافي، لكنها أيضًا نتيجة حقائق أخرى عن الاستعمار.

وبالفعل فإن انتشار اللوحة "المسنديّة" للتمثيل الفني ووفق النمط الغربي كان مفضلًا في تلك الفترة، وجاء خلالها إنشاء مؤسسات وجمعيات مختلفة ساهمت في خلق حياة فنية تصويرية في المنطقة، ومن المهم أيضًا أن نأخذ في الاعتبار مساهمة بعض الرسامين الأوروبيين في هذا الأمر، الذين ساهموا من خلال الاستقرار في البلاد فقاموا بإنشاء وتطوير مدرسة تصويرية معينة، ولا سيما المستشرقين ذوي النزعة الرومنسية، على سبيل المثال الفنان الاسباني جوزيف سينتوس والذي عاش ومات بالجزائر 1913 و ألفريد شاتود الفنان الفرنسي الذي عاش وتوفي أيضا بالجزائر 1908، وتقول

الباحثة الفرنسية في تاريخ الفن (ماريون فيدلبو) عن الفترة الأولى لدخول المستعمر المنطقة "عرف الرسامون الذين قدموا مع السفن الأولى للجيش الفرنسي مدى الآثارة وآلام المعارك التي كانوا مسؤولين عن تدوينها. لقد عاشوا الحروب والغزو. لكن لم ينسوا ملاحظة السكان وأبنية البلدات التي اكتشفوها حولهم. أولئك الذين تبعوا القوات رأوا جبهات عنيفة لكنهم دفعوا استكشافهم الشخصي للتوقف قدر الإمكان. لوقت طويل، كانت غالبية اللوحات المعروضة في صالون باريس تمثل مناظر حربية لحطام السفن على السواحل المعادية، لكن مناظر المساجد والنوافير المحاطة بأشجار النخيل كانت معلقة أيضًا بجانب تلك التي كانت موجودة في المعقل والمرابطين المدمرة. يتردد هؤلاء أمام جميع الضباط، وكان هؤلاء الفنانين يمثلونهم بالإضافة إلى القوات في لحظات عملهم كما في أوقات استرخاءهم. نحن مدينون لفيرديناند واشسموت. إلى بنجامين روبو لفيليكس فيليبوتو. بقدر ما هو هوراس فرنيه إلى أوغست رافي أو أدريان دوزات تمثيلات دقيقة وصادقة للجنود في زمن لويس فيليب تمثيلات لجنود من عصر لويس فيليب(VIDL-BUE,2002,p11.12)ومن خلال صور لأعمال بعض الفنانين ممن تم ذكرهم تمثل نظرة الغازي، حيث قدومهم كما قلنا سابقا من اجل خدمة وجهة نظرهم، وكما لا ننسى ان منهم من هو اصلا ضابط وعسكري التكوين.

وهناك أيضا من الفنانين المستشرقين والمتأثرين بالنزعة الرومنسية كمفهوم وكمدرسة، ممن جاؤوا من أمكان مختلفة بحثا عن ثراء لوني لعالم فني جديد، ومنهم من لم يكن يبحث عن فكرة ولا أن يكون شاهدًا على الحرب أو المعارك العسكرية، بل جاء باحثا عن سر الحياة اجتماعية لمجتمع يكتنفه الغموض ، وقد كان موضوع نساء داخل بيوتهن والحياة الداخلية للبيوت من أهم المواضيع التي شغلت الفنانين في تلك الفترة، وقيل عن الموضوع انه الأكثر سحرا بين مواضيع الأعمال الفنية لذلك الزمان، وتعتبر لوحة نساء الجزائر داخل شقتهم للفنان دولاكروا التي رسمها عام 1833 وتحصل عليها متحف اللوفر بعد عرضها في العام 1834 [1] من أهم الأعمال تأثيرا على الساحة الفنية يعتبر اوجان ديلاكروا ونسائه من الجزائر (1834، متحف اللوفر، باريس) من رواد المغامرة الاستشراقية في المغرب العربي. (Hadj Sliman,2003,p90)

عرفت بعد هذه اللوحة عدة أعمال تحمل نفس النهج تحاكي النساء داخل بيوتهن، مثل لوحة نساء موريسكيات الجزائر 1846 لفليكس فليبتو ولوحة نساء الحرم لاندريه سوريدا ولوحة جزائرية وخادمتها 1860 لانجل تيسه ولوحة ساحة البيت في طنجة 1869/1870 لهنري رينو وغيرها من الأعمال وكما شهدت المنطقة حضور في تلك الفترة للسوسري ادولف اووت والبريطاني ويليام ويلد والالماني كورتويس غورلغ ،وغيرهم ممن استهوتهم منطقة المغرب العربي والشمال الإفريقي، وهذا خاصة بعد ثمانينات القرن التاسع عشر، بحيث سعت فرنسا الى التحول للمرحلة الثانية من مخططها فبعد الغزو العسكري جاء دور الغزو المدني فسعت جاهدة لتغير المجتمع من عسكري إلى مدني، وهذا ما تنامى بسرعة في أواخر القرن التاسع عشر، فبدأ ظهور مؤسسات مدنية ذات طابع مدني لكن تحت الرقابة الفكرية الاستعمارية، وهذا لتبرير فكرتها أنها جاءت من اجل ادخال الحضارة لهده المنطقة، فأصبح لهم مجتمع مدني بمؤسساته الخاصة ليمنح لنفسه في المنطقة طابعًا فكريًا وعلميًا وفنيًا جديدًا حسب رؤيته طبعا، وهذا

[1]- للمفارقة هو تاريخ مرسوم مهم في الأحداث التاريخية للمنطقة : بحيث أصدرت فرنسا مرسوم 22 جوان 1834 ينص على اعتبار الجزائر جزء من الممتلكات الفرنسية وجاء بعده مرسوم 4 مارس 1848 ينص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا.

من خلال إنشاء الهياكل المخصصة لها المدارس العليا الأربع (الآداب والقانون والطب والعلوم)، بالإضافة إلى" مدرسة الفنون الجميلة في الجزائر في البداية كانت مجرد مدرسة للرسم تأسست عام 1843، كانت مجانية في البداية قبل ان تصبح مؤسسة رسمية عام 1848 كمدرسة بليدة وأصبحت بعدها المدرسة الوطنية للفنون الجميلة في الجزائر العاصمة عام 1881 بعد تغيير مبانيها ونموها بشكل كبير(Abrous,2015,123) يديرها في المقام الأول المهندس المعماري جاستون ريدون، ثم أستاذ في مدرسة الفنون الجميلة في باريس. يعتبر إنشائها حدثًا رئيسيًا سيكون له دور مهم في نشر الفن الغربي في الجزائر أولا والمنطقة المغاربية ثانيا، وتتألف من ثلاثة أقسام: الرسم والنحت والموسيقى.

في تونس تأسس معهد قرطاج سنة 1894، وهو يعتبر أكاديمية للفنون والآداب والعلوم والتاريخ، وأول مرة عرض أعماله الفنان الروسي الكسندر روبتزوف وأعاد العرض سنة (Abrous,2015,123) 1920 وهكذا كان يوم 11ماي 1894 من العلامات الفارقة في تاريخ الفن التشكيلي التونسي حيت افتتح أول صالون فني تونسي وكان هذا بمقر نقابة العمال المالطيين والذي تحول إلى رواق للعرض الفني بعدها. تأسست "جمعية الفنانين الجزائريين والمستشرقين" في الجزائر العاصمة سنة 1897 بمبادرة من النحات تشارلز كورديه، واتخذت أولاً اسم (جمعية الفنانين الجزائريين) من بين أعضائها ماكسيم نويري وفرانسيسك نوايلي. وتنظم معارضها الخاصة خاصة في الجزائر. تمنح منحتين دراسيتين رئيسيتين، منحة الحاكم العام للجزائر ومنحة مدينة الجزائر. أقيم معرضها الأخير في عام 1960" (Comité des traveaux historiques) ، ومن المهم تحديد أن الكلمة الجزائرية تشير بهذا الاسم إلى مجتمع الفنانين الغربيين المقيمين أو المولودين في الجزائر ولا يشمل السكان الأصليين، فهذه الحركة، التي كان موضوعها الرئيسي الأفكار الاستشراقية، عززت بالتأكيد فكرة وجود الحياة الفنية في الجزائر، لكنها ظلت في الأساس امتيازًا للأوروبيين. تم تكثيف المجهودات من خلال إنشاء صالون جمعية الفنانين الجزائريين والمستشرقين في عام 1904 وكذلك أول صالون للرسامين المستشرقين في الجزائر العاصمة في عام 1907 والذي سيتكرر بشكل كبير خلال النصف الأول من القرن العشرين .

أما في المغرب فقادنا بحثنا إلى الكونت هنري دي كاستريس وهو مؤلف في عام 1911 للوكلاء والمسافرين الفرنسيين في المغرب، 1530-1660، بحيث يذكر رسام واحد فقط هولندي " جوستيس ستايلي الذي يضع نفسه في خدمة السلطان في ذلك الوقت للقيام ببعض الأعمال في قصر مراكش خلال السفارات المرسلة من قبل لويس الرابع عشر إلى السلطان مولاي إسماعيل في عامي 1683 و1693" (Lespes,2017,p36.) ولا يوجد اثر لمرافقة فنانين مع البعثات الدبلوماسية وهذا الاستنتاج أخد من اغلب يوميات الدبلوماسيين في تلك الفترة التي لم تذكر ذلك، " فحتى أشهر الأعمال في تلك الفترة للفنان لوحات بيير دينيس مارتن مشكوك في زيارته لبلد المغرب من المحتمل أن يكون استقبال فرانسوا بيدو القديس أودون في مكناس مستوحى من قصة هذا المبعوث وقد استخدم الفنان أيضًا تكوين نقش من عمل الدبلوماسي((Lespes,2017,p36.

يعد سفر بعض سفراء المغرب الى قصر فرساي في نهاية القرن 17 موضوعا دسما لبعض فناني البلاط الملكي في تلك الفترة فدالك الحدث كان موضوعًا للعديد من التمثيلات، ولا سيما من قبل أنطوان كويبل .

كما نعلم تغير هذا الوضع في القرن التاسع عشر جاء بعد فتح منطقة جديدة للفرنسيين بغزوهم للجزائر أولا ،وثانيا كما تم ذكرنا سابقا رحلة ديلاكروا الشهيرة إلى المغرب والجزائر واثر هذه الرحلة على أعمال الفنان والفنانين، كما يعد النصف الثاني للقرن التاسع عشر من أهم المحطات الفنية في المنطقة وخاصة المغرب حيث زار عدد كبير من الفنانين الأوروبيين هذا البلد (هناك أكثر من 200 رسام غربي ذهبوا إلى هذا البلد خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن التالي)[2] واهم ما يميز قدوم الفنانين للمغرب هو أهم ثلاث مراحل كما قسمها العديد الباحثين في المجال الفني وهي:

المرحلة الأولى: من مطلع القرن إلى عام 1858 وكانت خلالها ترددات الفنانين قليلة جدا .

المرحلة الثانية: وتعد بالذروة خاصة عام 1859 بسبب حرب تطوان التي استقطبت العديد من الفنانين.

المرحلة ثالثة : من نهاية ستينيات القرن التاسع عشر حتى عام 1912 بداية ما يسمى بالحماية الفرنسية على بلد المغرب .

وفي إحصاء قامت به الباحثة في المجال الفني مارلين لوبيسيس جاء ما يلي حول نسب وجود الفنانين الأوروبيين (الفرنسيون (28 ٪) والإسبان (21 ٪) ويهيمن البريطانيون (21٪). في المجموع، تمثل هذه الجنسيات الثلاث ما يقرب من ثلاثة أرباع من هذه المجموعة؛ الربع المتبقي هم الألمان والنمساويون والإيطاليون والبلجيكيون، الهولنديون والفنلنديون والأمريكيون والكنديون والأستراليون. الزيادة عدد الفنانين المقيمين في المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر القرن، وكذلك يمكن تفسير جنسيتهم جزئيًا من خلال تطور العلاقات الدبلوماسية والسياسية بين البلدان مع أوروبا(Lespes,2017,p38))، ومن هذا نفهم سبب وجود أعمال فنية كثير في هذه الفترة ارتبطت ببلد المغرب وليس كغيره مثل الجزائر وتونس ويرجع هذا النزوح الكبير للفنانين إليه هو الأمان الذي كان موجود عكس الجزائر والأحداث السياسية نتيجة الاستعمار، فحتى تونس دخلتها فرنسا قبل المغرب بعشرين عام، لكن هذا الأمر سيتغير بعد ذلك، " لا يهتم الرسامون كثيرًا بالمغرب باستثناء الامريكي لويس كومفورت تيفاني والذي سيترك عمل مذهل لساحر الثعابين طنجة 1875" (Gerard-Georges,2000,p170.) وستتحول الوجهة الفنية الكبرى في منطقة المغرب العربي الى الجزائر التي من نهاية القرن التاسع عشر سعت فرنسا لجعلها القطب الفني خاصة وأنها اعتبرتها ارض فرنسية بعد موجات الاستيطان وتغير معالم البلد.

[2] -هدا الاحصاء بالتقدير وليس شامل من مجموع الفنانين المدكورين في الكتب التالية قامت به الباحثة مارلين لوبيسيس :

Maurice Arama, Itinéraires marocains, Paris, Jaguar, 1991 ; Gérald Ackerman, Les Orientalistes de l’école britannique, Courbevoie, ACR éd., 1991 ; Gérald Ackerman, Les Orientalistes de l’école américaine, Courbevoie, ACR éd., 1994 ; Edouardo Dizy Caso, Les Orientalistes de l’école espagnole, Courbevoie, ACR éd., 1997 ; Carolie Juler, Les Orientalistes de l’école italienne, Courbevoie, ACR éd., 1985 ; Martina Haja et Günter Wimmer, Les Orientalistes des écoles allemande et autrichienne, Courbevoie, ACR éd., 2000 ; Lynne Thornton, Les Orientalistes, peintres voyageurs, Courbevoie, ACR éd., 1993 -

تعتبر الصورة المرسومة على المسند أهم الأعمال الفنية في تلك الفترة، والتي غيرت مجرى التاريخ الفني للمنطقة، وقد كانت اغلبها تحاكي مجتمع غير المجتمع الأصلي من فن استشراقي قيل عنه "تم تأكيد الواقعية الفنية الغربية في مجتمع شمال إفريقيا من خلال الاستشراق في القرن التاسع عشر، وهو حركة أدبية وفنية ولدت في سياق السفر، على اتصال مع المناظر الطبيعية والناس من الشرق الأوسط أو المغرب العربي." (PELTERE,2001, 09.)

تتميز هذه المرحلة في ظهور الصورة بشكل عام كما ذكرنا سابقا ولوحة الحامل بشكل خاص، حاول من خلالها الفنانون بتركية من فرنسا اللعب على وتر اللاشعور، من خلال تغير في النهج الثقافي للمنطقة بالفن التشكيلي وباللمسة الرومانسية لهذا الفن، خاصة وقد استمر أكثر من نصف قرن رفض السكان الأصليين الالتزام بثقافة الأجنبي، والتنازل عن محاولات الاستيعاب العديدة التي كانت في معظمها ازدراء، فعلى سبيل المثال محاولة تجنيس بالجنسية الفرنسية، أو الإغراء للتخلي عن الدين الإسلامي وغيرها من الأمور التي عملت عليها جاهدة دولة المستعمر.

شهدت هذه الفترة تحريك شروط التبادل الثقافي بين دول المغرب العربي والدول الأوروبية بشكل أساسي، عن طريق الفتح والسيطرة على عكس المناطق الأخرى من العالم، ومن الناحية الفنية تم اعتماد لوحة الحامل كأساس للتمثيل الفني في المنطقة.

4-المواضيع الفنية التي عالجها الفنانون المستشرقون في لوحات المسند في فترة 1830-1900م :

أولا: بدأت اللوحات تحمل موضوع الحرب والمعارك، خاصة وأن الفنانين كانوا في بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر يرافقون الجيوش لتصوير المعارك في المنطقة، وكانت اغلب الصور تروج للتفوق الأوروبي لحمل رسالة ايجابية للجنود والرفع من معنوياتهم، وذكرنا سابقا أمثلة عن ذلك.

ثانيا: وكان هدف لوحات المنطقة الاستكشافية والهندسية هو التعريف بجغرافيا المنطقة ومعالمها الهندسية المختلفة عن أوروبا، ويبقى السبب الحقيقي هو رسم الخرائط العسكرية وتحديد الامكان، لتسهيل عمل الجيش الفرنسي، أو التركيز على المعالم الرومانية في محاولة لتمجيدها من جديد.

ثالثا : تصوير بورتريهات السكان الأصليين، بحيث كان الاختلاف الجيني لسكان المنطقة وتعابير وجوههم مادة دسمة لأغلب الفنانيين الذين قدموا للبحث عن مادة فينة جديدة، فصوروا الناس في الطرقات، وفي أعمالهم وطريقة عيشهم، ومن النقاد من اعتبر عملهم مهم للدراسة الاثنوغرافية وعلم الأعراق البشرية.

رابعا: المقاهي (Les Cafés maures) ونجد العديد من لوحات التي تجسد التجمع الذي يكون في المقاهي، وكان التركيز دائما على المدخنين (Les fumeurs de kiff) كما يطلق عليهم، وهذا لنقل صورة عن الرجل المغاربي أنه غير المسؤول، ومن أهم الفنانين الذين اهتموا بالموضوع :الفنان غابرييل فيري ولوحته مدخني الكيف الموجودة بمتحف قسنطينة الوطني سيرتا.

خامسا : وهو تصوير النساء داخل البيوت، وقد تكلمنا عنه سابقا، وأهم ما في الأمر هو التركيز على تصوير النساء تعيسات في حالة ملل، هذا للعبث بالصورة الحقيقية للمرأة المغاربية.

سادسا : المدارس القرآنية لقد حرص الفنانون خاصة الدين قدموا في مهمة تحليل الوضع ونقل ما يحدث في المنطقة، على تصوير طرق تعلم السكان الأصليين، مثل الفنان الفرنسي فرنسيسك نويلي الذي أدى خدمته العسكرية في الجزائر في فوج الزواف سنة 1875، عاش وتزوج وتوفي بالجزائر سنة 1942، من أشهر أعماله المدرسة القرآنية، وهكذا كانت للمدارس القرآنية حصة من التصوير في الأعمال الفنية .

سابعا: العائلة العربية وموضوع الأمومة، وهذا كان خاصة في اللوحات الخاصة بالمناطق الداخلية للمنطقة المغاربية، ومن أهم الفنانين الدين عالجوا هذا النوع من المواضيع لويس انتوني، ولوحته القبلة، و شارل لاندال ولوحته امرأة من تلمسان، وغيرهم من الفنانين والأعمال التي جسدت الموضوع .

ثامنا: الحمام لقد اهتم الفنانون بموضوع تصوير لوحات تدور حول الحمام، فقد "كان موضوع خصب للملذات التصويرية"-VIDAL BUE,2000,p43))سواء للرجال وللنساء، وكان هذا بداية لموجة ستأتي لاحقا من التصوير الخاص بالعري ونجد لوحات في القرن التاسع عشر كما توجد عدة لوحات تحمل نفس الاسم (الحمام الموريسكي)، وأشهر الفنانين الدين جسدوا عدة لوحات وأشهرهم في هذا هو الفنان جون ليون جيروم ومن أعماله ما هو متواجد بمتحف بوسطن، وهذا لكسر الصورة النمطية للمجتمع المحافظ بإخراج ما هو حميمي إلى العلن، وهذا من أهداف الاستعمار كما ذكرنا سابقا .

تاسعا : موضوع الطبيعة الصامتة والمزج في تركيب العمل بين النحاس والمجوهرات الخاصة بكل شمال إفريقيا والأسلحة وغيرها من المواضيع التي تستعمل لتراكيب، ومن الأعمال التي تحمل هذا الموضوع لوحة باقة الفاونيا للفنان جورج انتوان ، ولوحة الفنان بنجمين ساراليون ولوحة طبيعة صامتة مع الشوك وغيرها من الأعمال الكثيرة لفنانين كشارل دوفرسن، وبولين بيفيا فواسين.

عاشرا : الطبيعة والصيد والتنوع النباتي والوفرة والخيرات والتنوع الموجود، فهناك لوحات لفنانين لاماكن طبيعة مهجورة من السكان وغلب عليها الثراء الطبيعي المتنوع، ولوحات أخرى لمواقف عدة للصيد، خاصة التي يختلط فيها الحيوانات من أحصنة ونمور وغزلان وكلاب صيد وغيرها من التنوع الحيواني للمنطقة.

في الواقع، عندما زار رسامون مستشرقون المغرب العربي، لفت انتباههم نور البلد والهندسة المعمارية والمشاهد والأشياء المختلفة للحياة اليومية، كانت نظراتهم مشبعة بلعب الأضواء والخطوط والمواقع والمشاهد التي فكروا فيها ثم أعادوا إنتاجها في أعمالهم. فقد مثلت الحملات الاستعمارية المصاحبة لشمال إفريقيا بالنسبة لهم نعمة جمالية، ساهمت بشكل أكبر في الثورة الفنية التشكيلية في أوروبا، والتي ظهرت بداياتها بين الرومانسيين وتحققت مع الانطباعيين ومعاصريهم في بداية القرن العشرين مثل بول كلي وبابلو بيكاسو وهنري ماتيس.

يذكر جان ألازارد هو مؤرخ فني فرنسي عميد كلية الآداب بالجزائر، وأول أمين للمتحف الوطني للفنون الجميلة بالجزائر من 1930 إلى 1960. أهمية تأثر الفنانين بعالم غير عالمهم وطبيعة غير طبيعتهم ما أثر على الرسم الفرنسي عام 1928: "إن الكشف عن الشرق هو أحد الحقائق

المهمة، إن لم تكن الأساسية، في تاريخ الرسم الفرنسي في القرن التاسع عشر. لا يمكن لدخول أرض إفريقية في التاريخ الأوروبي إلا أن يساهم بشكل كبير في التعريف بشكل أفضل بأنواع وعادات البلدان التي تطارد مخيلة الغربيين. اجتذبت شمال إفريقيا فنانين أغواهم اهتمام وعظمة طبيعة جديدة تمامًا، وبالتالي كانت لدينا رؤية أكثر دقة للحضارات البعيدة والغامضة ".(ALZARD,1928,p22)

مع التأسيس التدريجي للوجود الفرنسي على الأراضي في منطقة المغرب العربي بالجزائر أولا ثم تونس والمغرب، اتبع الرسامون المشهورون هذا التوسع الإقليمي كونهم مسافرين أو عابرين أو حتى زوار على المدى الطويل، قام هؤلاء الرسامون بتثبيت المناظر الطبيعية في أعمالهم، مما أدى إلى ثورة في الحركة الاستشراقية بالغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهذا من خلال تصوير نوع من المشرق الذي يحلم به المعمر في أرض شمال إفريقيا، وقريبًا جدًا مما كان يتخيله، فجاءت المزيد من القوافل الغريبة على أبواب المدن، وكان هناك مزيجًا من تنوع السكان ومع حفظ كامل الحقوق للأوروبيين طبعا، وقسمت الباحثة ومديرة متحف الفن المعاصر السيدة لعقون نظيرة الفن الذي أتى به المستشرقون إلى فترات "الرسم الاستشراقي يعتبر رسما استعماريا قسم إلى ثلاث فترات حساسة : الفترة الأولى عرفت بالفترة الاستشراقية المائلة إلى التبرج المصطنعة والمتحيرة من خلال الاهتمام بمواضيع الإيهام والتخيل المكبوتة لدى الفرنسيين، والفترة الثانية تعلقت أكثر بالانطباعية المائلة إلى الذاتية والتي سيطرت على نهاية القرن التاسع عشر الذي أصبح فيه التصوري تمرينا في تأليف الموسيقى أكثر منه رسما، أما الفترة الثالثة والأخيرة وصفت فيما بعد بالانطباعية واتسمت بميزة طبعتها الألوان الفاقعة من خلال المشاهد البحرية وكذلك ألوان الوحشيين وميز تلك الفترة نوع من الاستشراق الذي اصطلح عليه بالواقعية واستمر إلى غاية استقلال الجزائر[3] " (عقون،2000،ص07)

ومن الرسامين المراسلين والجواسيس والباحثين عن الغزو والمعارك إلى أولئك الذين يبحثون عن المناظر الخلابة، أو الحداثيين الذين يسعون إلى التجديد الجمالي، كانت أعمالهم موجهة في المقام الأول للجمهور الأوروبي، ثم لعامة المستعمرة ومع ذلك، سوف يهتم بهذا الفن بعض سكان المنطقة الذين تأثروا بهذه الثقافة المستوردة.

الخاتمة: نستنتج مما سبق أن دخول الرومانسية من خلال اللوحة الحامل لمنطقة المغرب العربي حدث جد مهم ، بحيث أثرت على الذوق الجمالي العام فأصبح التصوير التمثيلي يغذى فكرة الافتتاح التدريجي على ثقافة الغربية، إلا أن كل محاولات ترسيخ هذه الثقافة سيحدث ثورة فنية مضادة في المنطقة، وسيظهر فنانون كسروا التقاليد الاجتماعية واجتاحوا عالم الفنون التشكيلية وكانوا مؤسسين له و مدافعين على ثقافتهم بريشتهم أمثال محمد راسم و بن علي الرباطي وغيرهم ممن نشهد لهم نحن الجيل المعاصر على أنهم قاوموا الاستعمار بالرومانسية أيضا بحيث انقلب السحر على الساحر فكل محاولات طمس الهوية التي استخدمتها فرنسا باستخدام الفن ،حركت الحس الوطني لدى المهتمين بالفن فخرج عليها جيل يدافع عن هويته و على الطريقة الرومانسية .

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية:

- تشاعو(كمال)، اثر فن الاستشراق في تكريس الفكر الاستعماري الفرنسي في الجزائر 1830-1930، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ،جامعة الجزائر 2، 2012 .

-عقون (نظيرة)، مدينة الجزائر في الرسم، ترجمة إنعام بيوض، منشورات RSM، ألفية الجزائر،2000.

المجلات العلمية المحكمة :

- قجال(نادية)،أساليب إثبات الهوية الثقافية في الفن التشكيلي الجزائري،جماليات،مختبر الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية، جامعة عبد الحميد بن باديس،ردمد2437-0614،المجلد 2، العدد2، 2015/12/01.

-زواغي(جميلة)،بنعمر(عزوز)،الهوية في الفن التشكيلي الجزائري،دراسات فنية، مخبر الفنون و الدراسات الثقافية ، جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان ، ردمد2572-0236،المجلد4،العدد2، 16، 2019/06/.

-مالكي(علي)،بدايات الفن التشكيلي بين ذاتية الفنان ونظرة المجتمع،دراسات فنية،مخبر الفنون و الدراسات الثقافية، جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان،ردمد2572-0236، المجلد5،العدد15،2020/12/2.

المجلات الالكترونية:

- العياري(رمزي)، كتاب فنانو تونس، محاولة انطرولوجية لرسم معالم الفنون التشكيلية التونسية،Ultra تونس،2019/12/28 ، آخر زيارة للموقع https://ultratunisia.ultrasawt.com،2021/07/07

- لعروسي (موليم) ، الفن التشكيلي المغربي بين التأسيس والحاضر، مجلة الآداب الالكترونية، المحاور عبد الحق لبيض، الفن-التشكيلي-المغربي-بين-التأسيس-والحاضر، 2018/01/15، آخر زيارة للموقع 2019/06/23، https://al-adab.com/article

المراجع باللغات الاجنبية:

المراجع باللغة الفرنسية:

-Abrous M., Les institutions artistique du 19eme siecle en france et au maghreb,patrimoines du maghreb à l'ére numérique,hypotheses ,27/09/2015. Patmagh.hypotheses.org/123.

- Abitbol M., Histoire du Maroc, Paris, Perrin, *2009.*

-AIT SAADI T.,La représentation de la réalité dans la peinture moderne algérienne, , esba ,2012.

-ALZARD J., Eugène Delacroix et l'Orient, in La revue Africaine Volume 69, publié par la Société Historique Algérienne, Alger 1928.

-BROUG E., L'art des motifs islamiques: créations géométriques à travers les siècles, Pyramyd,Paris, 2013.

-CARLIER O., L'émergence de la culture moderne de l'image dans l'Algérie musulmane contemporaine, in Images du Maghreb, images au Maghreb (XIX – XX siècles), une révolution du visuel ? Coordination Carlier O., L'Harmattan, Paris 2010.

-Castries H., Agents et voyageurs français au Maroc, 1530-1660, Paris, Ernest Leroux éditeur, 1911.

-Comité des traveaux historiques et scientifiques Institut rattaché à I'Ecole nationale des chartes. Présentation de la société des artistes algériens et orientalistes – ALGER.
Gerard-Georges L.,L'univers des orientalistes , preface de Genviéve Lacambre,Conservateur au Musée d'Orsay ,Place Des Victoires, Paris,2000.

-GOLVIN L ., Les tendances actuelles de la peinture en Algérie – in Annuaire de l'Afrique du Nord sous la responsabilité de CAMAU M., SANTUCCI J-C., FLORY M.- Centre national de la recherche scientifique ; Centre de recherches et d'études sur les sociétés méditerranéennes (CRESM), Editions du CNRS, Paris, 1971.

-Hadj Sliman B., LA CEATION ARTISTIQUE EN ALGERIE histoire et environnement, état des lieux sur l'environnement de la creation dans le cadre du projet AlgArt de l'association PlaNet DZ, MARSA EDITION,ouvrage publiée avec les soutien de CNL,FASILD et des Centre Culturels Français d'Algérie, Alger 2003.

- KHATIBI A., L'art contemporain arabe, El Manar /IMA, Paris, 2001.

-Lespes M., De l'orientalisme à l'art colonial : les peintres français au Maroc pendant le Protectorat (1912-1956), Université Toulouse Jean Jaurès École doctorale TESC : Histoire de l'Art, Le 2 décembre 2017.

- PELTERE C., Orientalisme, Terrail/EDI Groupe, Paris, 2004.
- Saou-Dufrêne B. , Arts traditionnels au Maghreb Transmission des savoir-faire et enjeux de leurs expositions, Al-Sabîl Revue d'Histoire, d'Archéologie et d'Architecture Maghrébine,N°3, 2017.

-VIDL-BUE M.,L'ALGERIE DES PENTRES 1830-1960, EDIF2000 et Paris-Méditerranée, juillet2002.

المراجع باللغة الانجليزية

-RHELMOUN C. , Advertising discourse analysis, keyCity, Canberra,2006.